الفصل السابع

لفظ الدعاوى القضائية

قد تعتقدون أنني أحب الدعاوى القضائية لكوني مؤمناً بالأسواق الحرة. فالدعاوى القضائية تعد بحلول ناجعة للمشكلات. توفر الدعاوى القضائية العدالة للأفراد. بدلاً من القوانين الحكومية الموحدة التي تفرض على الجميع. كما يقول والتر أولسون مؤلف كتاب قاعدة المحاميين The rule of lawyers يمكن تلقيب المحامين المدعين بقبضة اليد الخفية. فإذا أذيت شخصاً ما أو خرقت القانون تضربك هذه القبضة. ونظرياً يجب أن يكون حل المشكلات بصورة شرعية وقانونية أمراً حسناً.

ولكن في الحقيقة تؤذي القوانين عدداً من الأشخاص أكثر بكثير من الأشخاص الذين تساعدهم.

استغرقني فهم ذلك عدداً من السنين. عندما بدأت بتغطية تقارير المستهلكين كان محامو الإصابات الشخصية مصدري الأهم كانوا يتلهفون لمساعدتي لإدراكهم هدفنا المشترك: سيدعمون قضاياهم لجلب اهتمام الرأي العام عن طريق مساعدتي في تحري قصصي. كما سنرى لهذه الشراكة بين المراسلين الصحفيين والمحاميين نتائج شريرة ولكن يصعب على الصحفيين مقاومة إغراء إشراك المحاميين لأنهم يشكلون مصادر ممتازة إذ يقومون بتحريات مكلفة للحصول على الحقائق التي تسهل صياغتها فيما بعد مقالات في الصحف أو حلقات في البرامج التلفازية.

لقد شعرت أنني عادل ومحق أثناء تغطيتي لتلك القصص شعرت أنني أنا والمحامون كنا الرجال الأخيار الذين يقاتلون الأشخاص المتنمرين. لكن أخرج الرفش للتنقيب. لقد اكتشفت الآن أن المحامين هم المتنمرون وأنا كنت أساعدهم بشق طريقهم.

خرافة: تناصر الدعاوى القضائية المستضعفين.
حقيقة: مقابل كل واحد ممن تناصر يتأذى مئات آخرون.

«ربحت دعوى قضائية مليون دولار لأجل طفل متأذٍ» كان هذا عنوان رئيسي ظهر بعد أن تأذى طفل بآلة طبية. يشير هذا العنوان إلى أن العدالة تحققت.

من الواضح أن الدعوى القضائية تلك كانت في صالح العائلة التي كانت تعتني بالطفل.

لكن هذا العنوان يغفل ذكر كثير من التفاصيل الهامة. أولها أن الدعوى القضائية كلفت كل من تورط بها ـ وذلك يشملك ـ أكثر بكثير من مليون دولار. فبالإضافة إلى تسوية المليون دولار المدفوعة كانت هناك تكاليف المحكمة وأتعاب محامي الدفاع ـ كثير من محامي الدفاع رفعوا على الأرجح دعاوى قضائية ضد صانع الآلة الطبية بالإضافة إلى الجراح والطبيب المقيم وبعض الممرضات والمشفى والله يعلم كم من الآخرين. يُذكر في الدعاوى القضائية بشكل روتيني أسماء دزينة من الأشخاص لأنه إن أغفل اسم أحدهم وتبين فيما بعد أن الخطأ كان خطأه سيعرض ذلك المحامي إلى تهمة سوء التصرف في المهنة.

بالنسبة للمحامين ولأشخاص مثلي الدعوى القضائية هي جزء من عملنا الذي اعتدنا عليه ولكن بالنسبة لمعظم الأشخاص الدعوى القضائية هي تجربة تخرب الحياة. تذعر الممرضات ويفقد الأطباء قدرتهم على التركيز ويأرقون. سمعتهم الطبية التي تكبدوا الصعاب للحصول عليها تمزقها الصحف التي تنشر أقوال المحامين المدعين الذين يرسمون صوراً خادعة عن عدم كفاءة الأطباء وإهمالهم. يضطر الأطباء إلى استخدام محامي دفاع يشغلون كل وقتهم ويمتصون طاقتهم وينهبون مدخراتهم يعاني المرضى ويتألمون بينما يصرف أطباؤهم عدة ساعات في الأسبوع مع المحامين يحضرون الرد على التهم وتطول الدعاوى القضائية لمدة سنوات من الزمن.

obeikandi.com

وبسرعة هرع الأطباء إلى ممارسة نوع من الطب الدفاعي فأخذوا يطلبون الاختبارات والتحاليل المكلفة وغير الضرورية في محاولة لتجنب الدعاوى القضائية. بعض هذه الاختبارات مؤلمة للمرضى. واليوم تطلب نسبة 51 بالمئة من الأطباء إجراءات مزعجة مثل أخذ الخزعات دون وجود ضرورات طبية لذلك.

أصبح الأطباء أشد تكتماً وباتوا يتحدثون مع المرضى بشفافية أقل ولا يحبون أبداً الاعتراف بأي خطأ. ارتفعت كلفة التأمين ونقل الأطباء والمشافي الكلفة إلى المرضى. وقرر صانعو المعدات الطبية المذعورين التزام التقنيات القديمة المثبتة والتخلي عن خطط إيجاد أدوات محدّثة تجعل الجراحة أقل ألماً وخطورة. بإمكاني المواصلة لكنني أعتقد أنكم فهمتم الفكرة.

عانى عديد من الأشخاص من الألم والخوف والخسائر المادية للحصول على تسوية المليون دولار. بل حصلوا على نحو 600.000$ بعد أن اقتطع المحامي أتعابه وأجوره.

هل عوقب الأشخاص «عديمو الكفاءة» أو «المهملون»؟ على الأرجح لا. قد يكون صانعو الآلة الطبية /الأطباء/ المشفى/ الممرضات كلهم أبرياء. أثبتت دراسة في هارفرد أن معظم الأشخاص الذين يفوزون بتسويات ناجحة عن سوء تصرف مهني لم يكونوا أبداً ضحية لسوء التصرف المهني ذلك.

لتغطية أتعاب المحامين ترتفع أسعار كل البضائع التي يشتريها المستهلكون ارتفاعاً طفيفاً. والمنتجات المنقذة للحياة هي التي يكون عقابها أشد من جراء «ضريبة المحامي». المعمل الذي ينتج الناظمات القلبية يقول إن الدعاوى القضائية تضيف آلاف من الدولارات إلى كلفة كل ناظمة قلبية Pacemaker. تعاقب الدعاوى القضائية مئات بل آلاف من الأشخاص الأبرياء.

يركز ناقدو استغلال الدعاوى القضائية على كلف المحاكم والتشريعات وهي كلفة هائلة دون شك. لكن الكلفة الأكبر هي الآثار الجانبية السيئة. ماهو أسوأ أن الخوف من الدعاوى القضائية يحرمنا من الأشياء التي تحسن حياتنا.

obeikandl.com

خرافة: الدعاوى القضائية ضد «المنتجات المعطوبة» تجعل المنتجات أكثر أماناً.

حقيقة: الدعاوى القضائية ضد المنتجات تحرمنا من منتجات أكثر أماناً.

بالطبع يجعل الخوف من «قبضة اليد الخفية» المصنّعين أكثر حذراً. ولقد أُنقذت حياة بعض الأشخاص لأن التهديد القضائي جعل الشركات تصنع منتجات أأمن. هذه هي النتائج الحسنة «المرئية».

لكن هذه النتائج الحسنة تأتي بثمن أكبر غير مرئي: الخوف الذي يوقف الأشياء السيئة يوقف الأشياء الحسنة أيضاً. يخنق الخوف التحديث الذي ساعدنا في القرن الماضي على تمديد مدة حياتنا ثلاثين سنة أكثر. نحن نفقد أشياء جيدة كل يوم.

في عام 1987 طورت مونسانتو بديلاً عن الحرير الصخري (اسبستوس) وهو نوع من العازل المقاوم للنار الذي قد ينقذ حياة الآلاف من الأشخاص لكن مونسانتو قررت ألا تبيع هذا المنتج بسبب الخوف من الدعاوى القضائية. قال ريتشاردف ماهوني وكان هو المدير في ذلك الوقت «كان من الممكن إيجاد بديل فعال للأسبستوس في السوق لكن الآن هذا غير ممكن».

لم كان علينا أن نقلق من نقص لقاح الأنفلونزا؟ لأن أربع شركات فقط مازالت تصنّعه.

ولم ذلك؟ لأنه من بين ملايين الأشخاص الذين يتلقون اللقاح قد يمرض البعض فيرفعون دعوى قضائية.

بين عامي 1980 و1986 طالب محامو الإصابات الشخصية مصنعي اللقاحات بملايين الدولارات معظمهم لم يفز لكن ذلك أثار الذعر في شركات الأدوية الأمريكية التي أقفلت أبوابها.

obeikandl.com

في عام 1986 تدخل الكونغرس وذلك لكبح الدعاوى القضائية التي ثبطت من إنتاج اللقاحات. أسست الحكومة ميزانية مالية دعتها البرنامج الوطني لتعويضات التأذي من لقاحات الأطفال. سيدفع من هذه الميزانية إلى أهالي الضحايا بصورة مباشرة حتى لا يلجؤوا إلى استخدام المحامين ويعانوا من مماطلة القضاء. كان يفترض أن يحث هذا الإصلاح صانعي اللقاحات على الإنتاج لكن شركات الأدوية بقيت متخوّفة تهاب أن يرفع المحامون المدعون عليها الدعاوى القضائية في كل حال.

كانوا محقّين في قلقهم. قبل أربعين سنة طورت إيلي ليلي مادة حافظة ذات أساس زئبقي دعيت ثيميروزال واستخدمت في العديد من لقاحات الأطفال. قفز المحامون المدعون إلى إثارة الذعر لادعاء أن الزئبق يسبب مرض التوحد عند الأطفال. ومع أن دراسة حكومية لم تجد أي علاقة رفعت أكثر من مئة دعوى قضائية حول التوحد ضد صانعي اللقاحات منذ أن طُبق قانون تعويضات التأذي من لقاحات الأطفال. لا عجب إذاً إذ لم ينأى صانعو الأدوية عن أبحاث اللقاحات.

حتى عندما تُكتشف لقاحات جديدة تخاف شركات الأدوية أحياناً من بيعها. وافقت FDA على لقاح ضد (داء لايم). أتريد أخذه؟ انس الموضوع. مامن شركة تريد المخاطرة ببيعه.

الخوف من الدعاوى القضائية قلّص عدد الشركات الأمريكية التي تجري أبحاثاً عن موانع الحمل من ثلاثة عشرة شركة إلى اثنتين.

بعد أن جعلت دعوى قضائية خالية من أي أساس علمي شركة داون كورينغ للأثداء الاصطناعية تفلس توقف صانعو السيليكون اليابانيون عن إنتاج طبقة واقية من السيليكون المخفف للألم في الإبر التي تحقن تحت الجلد. قال مدير شركة: «نحن واثقون من أن منتجنا آمن ولكننا لا نريد أن نخاطر في مواجهة دعوى قضائية».

اخترعت شركة يونيون كاربيد آلة صغيرة متنقلة لغسل الكلية، كانت ستسهل كثيراً حياة الأشخاص الذين يعانون من مرض في الكلية لكن يونيون كاربيد قررت ألا تبيع تلك الآلة. فبوجود الطفيليات القانونية المتربصة فاقت خطورة الدعاوى القضائية المكلفة أي نفع محتمل.

هل أنت حامل؟ أتعانين من الغثيان الصباحي؟ من الأرجح أن يشفي الدواء (بندكتين) ذلك «لسبع وعشرين سنة مضت وصف الأطباء هذا الدواء لأكثر من ثلاث وثلاثين مليون امرأة» إذ إنه جيد أو كان جيداً في معالجة الغثيان الصباحي والإقياء. لكنك اليوم لا تستطيعين شراءه وذلك لأن المحامين واظبوا على رفع الدعاوى القضائية ضد شركة ميريل دو التي كانت تصنّعه مدّعين أن ذلك الدواء تسبب بتشوهات ولادية.

لم تظهر الدراسات أن البندكتين يسبب تشوهات ولادية وفازت ميريل دو بمعظم الدعاوى القضائية. ولكن بعد إنفاق مئات ملايين من الدولارات أجوراً قضائية قررت الشركة عدم بيع الدواء. لم يحل أي دواء آخر محل البندكتين واليوم يشكل الغثيان الصباحي السبب الأساسي في التجفاف أثناء الحمل.

يقول د. بول أدفيت أستاذ طب الأطفال بجامعة بنسلفانيا كلية الطب: «خلال سنتين من إيقاف البندكتين تضاعفت الإصابات الحادة بالتجفاف في المرحلة الأولى من الحمل لكن الإصابات بالتشوهات الولادية لم تتغير.

هذه بضعة أمثلة عن خسائرنا ولا يمكننا تصور المنتجات المنقذة للحياة التي كان يمكن ابتكارها ـ لو أن المحدثين لم يعيشوا في مناخ من الذعر.

خرافة: تحمي الدعاوى القضائية المتعلقة بسوء التصرف في المهنة المرضى.
حقيقة: تؤذي الدعاوى القضائية المتعلقة بسوء التصرف العديد من المرضى.

نشر المحامون ذعراً شديداً في المشافي فأصبح المرضى أكثر عرضة للخطر. قال لي إدغار ماندفيل الجراح في نيويورك: «يعيش الجميع في ذعر قاتل من أن ترفع عليهم دعوى قضائية». إنه أستاذ في علم التوليد ويظهر اسمه في لائحة «أفضل أطباء في نيويورك».

ومع ذلك رفعت عليه دعوى قضائية عشرات المرات. إن اختصاصه الطبي، التوليد، هدف رئيسي للقضايا القانونية: 76 بالمئة من أطباء التوليد الأمريكيين واجهوا دعاوٍ قضائية رفعت ضدهم. أنا أفهم أن هناك أطباء سيئون ولكن هل ثلاثة أرباع أطباء التوليد سيئون؟

أجريت مقابلة حول هذا الموضوع مع واحد من أنجح محامي المحكمة في أمريكا واسمه ديكي سكرغس Dikie scruggs.

ديكي سكرغس: هناك فقط مجموعة معينة من الأطباء الذين يثيرون كل المشكلات.

ستوسل: ولكن أين العدل إن كانت الدعاوى القضائية ترفع على ثلاثة أرباع أطباء التوليد؟

ديكي سكرغس: حسناً، لهذا السبب لديهم تأمين.

يعطي الناس غالباً إجابات كهذه، كأنهم يعتقدون أن التأمين يجعل كل شيء مجانياً... لعل النقود تنمو على أشجار التأمين.

لكنكم تدفعون لذلك التأمين من خلال ارتفاع الأسعار. وتدفعون أيضاً ثمن طائرتي ديكي سكرغس ويخته وأسلوب حياته المسرف المرّفه. إنه ملك الدعوى القضائية «Class action» (تحرك الطبقات) إذ وضع ملايين الدولارات في حسابه المصرفي وبليون دولار ـ نعم بليون دولار ـ من تسوية هائلة ضد شركات التبغ.

دفعت شركات التبغ الكبيرة تسوية للقضية بلغت 206 بليون دولار معظمها دفعها مدخنو السجائر عند شراء السجائر التي ارتفعت أسعارها.

سكرغس معجب بملك رفع دعاوٍ آخرين وهو السناتور السابق والمرشح نائب رئيس للجمهورية جون إدواردز. «إنه نوع من الفن بالنسبة لي» قال لي سكرغس «ومارسه جون إدواردز بنجاح متألق». بالطبع وكان لإدواردز تأثير أساسي في مجال الدكتور ماندفيل وهو طب التوليد.

حصل إداواردز على ما يقارب أربعين إلى ثمانين مليون دولار (إنه لا يعلن المبلغ) من جراء رفع الدعاوي على الأطباء في المشافي. لقد جنى أكبر أجوره من رفع الدعاوى

بالنيابة عن الأطفال الذين ولدوا بشلل دماغي. قال إدواردز إن الشلل الدماغي حدث بسبب نقص الأوكسجين المتدفق إلى دماغ الوليد أثناء الولادة. وجادل إدواردز بعنفوان وعاطفة مشيراً إلى أن الطبيب لو أجرى عملية ولادية قيصرية لتحاشى الشلل الدماغي عند الطفل.

يملك إدواردز بعض التكتيكات الذكية التي يقوم بها في قاعة المحكمة. ذات مرة فاز برقم قياسي في حكم المحلفين عندما قام بتمثيل دور الوليد المتأذي في رحم الأم. قال للمحكمة «الآن، أنا أشعر بها، أشعر بحضورها. إنها بداخلي وهي تتحدث إليكم [وتقول] أنا أعاني من مشاكل، أريد الخروج» استجابت لجنة المحلفين بمنح 605 مليون دولار.

الشيء الذي تعلمه الأطباء في تهريج إدواردز والمحامين الآخرين هو الإكثار من إجراء العمليات القيصرية. تضاعفت العمليات القيصرية أكثر من 4 مرات ـ كانت نسبتها 6 بالمئة من كل الولادات عام 1970 وأصبحت 28 بالمئة في عام 2003، اليوم شاع انتشار الولادة القيصرية لأسباب متعددة لكن الخوف من الدعوى القضائية حول الشلل الدماغي كان له تأثير كبير. قد تعتقدون أنه إذا كانت حجة إداوردز صحيحة ستندثر كل حالات الشلل الدماغي تقريباً. لكن هذا لم يحدث. د. ماندفيل البارع في استخدام المشرط ساعدني في استخدام الرفش هذه المرة.

د. إدغار ماندفيل: لم يكن هناك أي انخفاض طفيف في معدلات الشلل الدماغي في أمريكا.

ستوسل: يعتقد المرء أن المعدل سينخفض بعد كل هذه...

د. إدغار ماندفيل: هذا ما يبدو؟ أليس كذلك يا سيدي؟ هذا ما يبدو.

لكن الأطباء المرتاعين من جون إدواردز وأمثاله مازالوا يسرعون إلى إجراء الولادات القيصرية. قال لي أحدهم «الأمان أفضل من الندم».

ستوسل: أيسبب ذلك ألماً أشد للنساء؟

د. إدغار مادنفيل: من الواضح أن الألم أشد، أشد بكثير.

ستوسل: لكن الولادة الطبيعية مؤلمة.

د. إدغار ماندفيل: لكنها ليست في مثل ألم الجرح الطويل على البطن. كما أن الولادة القيصرية تحمل عوامل خطر أكبر بثلاثة إلى خمسة مرات مثل النزيف ـ الإنتانات، انسداد أوعية الرئة وعدد من الأخطار الأخرى.

لا أريد نشر الخوف ـ الولادة القيصرية آمنة نسبياً، لكنها عملية كبيرة، يتحمل العديد من النساء ألماً غير ضروري وخطر الموت أثناء الولادة لأن محامين مثل جون إدواردز أرعبوا الأطباء فجعلوهم يكثرون من إجراء العمليات القيصرية.

ما يدعو للسخرية أن العلماء اليوم يقولون إن الشلل الدماغي يندر أن يحدث بسبب أي فعل يقوم به الأطباء في غرفة الولادة. هل سيعيد إدواردز ملايينه؟ لا.

لقد بدأنا نتعلم الآثار الجانبية الحزينة للدعاوى القضائية المتعلقة بسوء التصرف في المهنة. السرية إحداها. أتذكرون تشارلز كولين الملقب «الممرض القاتل؟» لقد طرد من مشفى تلو آخر لكن المشفى لم تقل للأخرى «لا توظفوه! إننا نعتقد أنه تسبب في قتل مرضانا». الخوف من الدعاوى القضائية أخرسهم.

قال المدير المسؤول في المركز الطبي سمرست في سمرفيل نيو جرسي، حيث عمل السيد كولين لآخر مرة (ويحتمل أنه قتل اثني عشر أو خمسة عشر مريضاً) قال: «إن كانت توجد نتيجة حسنة من هذا كله فهي أن ننتبه إلى إصلاح النظام الذي نمنع من خلاله من أن نقول للآخرين ما يحدث وذلك بصراحة بسبب الخوف من الدعاوى القضائية».

الخوف من الدعاوي القضائية بجعل الأطباء أيضاً يتسترون على الأخطاء. استنتجت دراسة قامت بها هيئة الصحة والخدمات الإنسانية أن «تكره المشافي والممرضون والأطباء الإخبار عن المشكلات ويحاولون جمع جهودهم لتحسين الرعاية بسبب خوفهم من أن يجرّون في دعاوٍ قضائية حتى ولو لم يرتكبوا أي خطأ. نتيجة لذلك «ما يقرب 95 بالمئة من الحوادث المزعجة لا يتم التبليغ عنها».

الخسارة مضاعفة: نحن المرضى نخسر لأن الأطباء يتسترون عن الأخطاء. والمحامون يأخذون نقودنا ويهربون.

خرافة: تهديد الدعاوى القضائية يجعل العالم مكاناً أكثر أماناً.
حقيقة: الدعاوى القضائية تزيل خياراتنا.

الدعاوي القضائية لا تنقص شعورنا بالأمان وحسب بل إنها تزيل المتعة من حياتنا. فكر فيما يلي: طلب إلى لاعبين البيسبول أتلانتا بريف «لا تقذفوا الكرات على المشجعين بعد الآن. لأن في ذلك خطر من دعاوٍ قضائية ترفع عليكم».

أنقصت المخيمات في رياضة الفروسية. المدارس تحذف برامج الرياضة. قد تكون هذه نشاطات ممتعة ولكن، لا سمح الله قد يُجرح أحد.

هل يريد أولادك تعلم الفوضى؟ تكون محظوظاً إن وجدت مسبحاً فيه لوحة للقفز. (منصة). لقد ألغاها مديرو المسابح لأنهم يخافون الدعاوى القضائية.

هل تذكر أيام السباحة في برك الماء الطبيعية؟ يجدر بك أن تنسى تلك الأيام، فبشكل متزايد أصبح الناس الذين يتوجهون إلى برك السباحة القديمة تلك يقابلون بإشارات تقول «ابقوا بعيداً» هذه الإشارات وضعت أيضاً في نيويورك عند برك السباحة التي هي ملك روبرت إيفيري. لقد أمتعت هذه الملكية أجيالاً من سكان المدن وكان هذا يعجب إيفري ولكن محاميه بعد ذلك أخبره أنه إذا حدث وتأذى أحدهم فقد يرفع عليه دعوى قضائية. فنُصب السياج ووضعت إشارات «ابقوا بعيداً».

وقال إيفري: «السبب أني خشيت أن ترفع علي دعوى أن بوسعهم أخذ كل ما أملك».

إنه على صواب. فالمقاضاة في أمريكا باهظة الثمن ودعوى قضائية واحدة يمكن أن تأخذ منك كل ما تملك ـ حتى لو ربحتها.

هل وضع إشارات ابق بعيداً تجعلنا أكثر أماناً؟ ليس ذلك بالضرورة في الواقع ـ لأنهم يشجعون الناس على أخذ مخاطرات أكبر. قبل بضعة أشهر صيف كان هناك شاب في الواحد والعشرين من عمره لم يكن بوسعه الوصول إلى مسبح روبرت إيفري من المدخل الرئيس لأن البوابة كانت مغلقة وإشارة ابق بعيداً موجودة فذهب إلى جزء أكثر خطورة من بركة السباحة لكي يصل. وقد غرق.

obeikandl.com

ماذا يعني إغلاق برك السباحة بالنسبة للأولاد؟ تجارب تعليمية أقل. يتعلم الأولاد من اختبارهم لقدراتهم. بعض الأولاد يسقطون ويجرحون بالسباحة أو بالسقوط من الأشجار ولكن هل مجتمعنا أكثر سعادة وأكثر أماناً الآن إن لم يعط الأطفال فرصة المحاولة.

خرافة: الدعاوى القضائية تحمي الأولاد.
حقيقة: الدعاوى القضائية تجعل العالم مكاناً أشد برودة.

يوجد نغير عميق يأخذ مكانه في المدارس لعلك لست عالماً به ولكن تأثيره على ابنك قد يكون دراماتياً. لقد كان التعليم مهنة ملاطفة بحيث إن تربيتاً أو ملامسة للظهر تعتبر نوعاً من التشجيع.

ولكن اليوم معظم المعلمين يبقون مسافة (أمان) مع الطلاب وذلك لسبب معقول.

ألبرت تومبسون أستاذ بديل في شيكاغو طُلب إليه أن يدرس الصف الرابع. قال لي: «لقد قضيت يوماً واحداً مع ذلك الصف المتميز ـ ست ساعات غيرت حياتي بأكملها».

لقد تطوع تومبسون للعمل في جوار مضطرب حيث ظن أن بوسعه أن يساعد أكثر الأولاد حاجة إليه. وللحفاظ على النظام في تلك الصفوف ألح على نظام قاس. وقد استاء بعض الأولاد من ذلك ولم يأبه تومبسون لذلك إلى أن استيقظ في يوم من الأيام وارتاع إذ وجد أنهم يتحدثون في التلفاز.

«أعلن صبي وتسعة فتيات أن أستاذاً بديلاً لامسهم هنا يوم الجمعة» قال المذيع «يتحدث المرشدون الاجتماعيون مع كل الطلاب المصدومين بهذه القصة».

قالت فتاة إن تومبسون لامس ثدييها. وقال صبي إن تومبسون تحسس قضيبه بينما كان يقف أمام الصف. قال عشر أطفال إن تومبسون تحرش بهم. قال لي تومبسون «إنها مؤامرة»، ولكن من سيصدق ما يقوله أستاذ بديل أمام اتهامات العديد من الأطفال؟ لحسن حظ تومبسون، كشف عمل الشرطة الجيد على أن ذلك كله كان

كذباً. لقد غضبت فتاة لأنها عوقبت فدفعت دولاراً لكل من أصدقائها كي يختلقوا قصصاً حول تحرش تومبسون بهم. أسقطت التهم.

ترك تومبسون التدريس وعمل في مخزن لبيع الطعام الصحي. إنه يقول أصبح خائفاً من الرجوع إلى التدريس. قال لنا بعض الأساتذة إن تومبسون كان محظوظاً لأن التهم أسقطت بسرعة نسبياً. فلقد تدمرت حياة أساتذة بريئين آخرين من تهم مماثلة.

لقد أجريت مقابلة مع مجموعة من الأساتذة يبلغ مجموع خبراتهم في التدريس مئة سنة. قالت ساندي لينكيمر إنها تسمع أولاداً في الصف الرابع أو الخامس يستخدمون عبارات مثل «التحرش بالأطفال» و«الدعاوى القضائية» للانتقام من أساتذة لا يحبونهم. «إنهم لا يعرفون معنى الكلمة لكنهم يعرفون أنها سلاح».

هذا غير من طريقة تدريس الأساتذة. عندما تلقوا التدريب كان يقال لهم «يحتاج الأطفال إلى الحنان الجسدي» أما الآن إذا لمسهم طفل ينأون عنه.

شارون كليغهورن: ننكمش خوفاً ونقطب وجهنا ونتأمل «أرجوك ابتعد عني».

ستوسل: أليس هذا رهيباً بالنسبة للطفل؟

شارون كليغهورن: قد تشعر الطفلة أنها منبوذة.

ريتشارد كليغهورن: إن هذا حرمان الطفل.

كريس ويتشسر: قد يتسبب ذلك بدفعهم بعيداً عن التعلم إذ ينغلقون على أنفسهم ولن يريدوا من أحد التواصل معهم.

ستوسل: عندما بدأت مهنتك في التعليم هل كنت تفكر ملياً قبل أن تعانق طفلاً ما.

كريس ويتشستر: كلا. بل كنت أشجعهم على الجلوس في حضني كنت أقول «أتريد أن تجلس على حضني وتساعدني في قراءة هذه القصة؟» اليوم لا أستطيع أبداً فعل ذلك.

ستوسل: لو أتت إليك الطفلة وكانت تريد الجلوس في حضنك.

كريس ويتشستر: سأقول «حسناً أتعلمين ماذا؟ تستطيعين الجلوس هنا إلى جانبي وهذا سيكون رائعاً» قد ينظر الأهالي من النافذة فيقولون: «ماذا تفعل ابنتي جالسة على حضنك؟»

ستوسل: أتستطيعون إيصال الطفل بالسيارة إلى منزله؟

جون غري: أبداً.

قال لي كبث كينر الرئيس السابق لأكبر اتحاد أساتذة في أمريكا إنه كان يعلّم الأساتذة وجوب الابتعاد عن التلاميذ «نحن نقول للأساتذة بشكل عام درسوا ولكن لا تلامسوا».

لنشر هذه الرسالة تعين اتحادات الأساتذة محامين ليحاضروا ويرشدوا الأساتذة كيف يحمون أنفسهم. لقد صورنا بالفيديو مايكل روثشايلد وهو يخبر مجموعة من الأساتذة: «لا تدعوهم إلى منازلكم، في أية ظروف ومهما أردتم ذلك لا تدعوهم إلى منازلكم. إنه الانتحار. لا تقوموا بذلك!»

الحمامات مشكلة خاصة بالنسبة لأساتذة الحضانة إذ قد يطلب الأولاد المساعدة.

كريس ويتشستر: قد ينفد الورق في المرحاض. لهذا أنا أضع دائماً عدة لفافات من الورق، لأن ذلك يحدث ـ كنت في الماضي أذهب وأغير الورق وأخرج الآن لا. الآن استدعي الممرضة هي التي تدخل وتنظف الطفل وأنا أبقى عند الباب وتذهب هي بعد ذلك فوراً وتتصل بالأهل وتقول لهم «هذا ما فعلته للتو».

ستوسل: أليس هذا جنوناً؟

كريس ويتشستر: لقد قيل لنا إن هذه هي الطريقة لحماية أنفسنا. وضع الطفل على الحضن يدعى «استغلال المعهد» نحن نفقد شيئاً ما ـ شيء من التواصل مع الأطفال أشعر بالشفقة عليهم.

أنا أيضاً. ليس فقط الأساتذة من ينسحبون، الأطباء ورؤساء فرق الكشاف والمرشدون الاجتماعيون كلهم يوقفون حنانهم بسبب الخوف من الدعاوى القضائية بهدف حماية الأطفال تجعل الدعاوى القضائية العالم بارداً تجاههم.

obeikandl.com

خرافة: تزيد الدعاوى القضائية من الأمان بجعل الشركات تضع لصاقات تحذير على المنتوجات.

حقيقة: تقلل الدعاوى القضائية من الأمان بخلق تحذيرات لا معنى لها.

يجني المحامون الملايين من جراء إخبار هيئة المحلفين «ما كان الحادث ليقع لو أُنذر موكلي بصورة صحيحة!» استجابت الشركات المتخوفة بوضع تحذيرات على كل شيء.

يكتب في تعليمات جهاز تجفيف الشعر «لا يستخدم أثناء النوم» وعلى شموع أعياد الميلاد «لا تستخدم الشمع سدادات للأذن» وكتب على لصاقة حفارة طرقات قوية «ليست معدة للاستخدام كحفارة أسنان».

تلك التي أفضلها هي لصاقة تحذير على طعم لصيد السمك كتب عليها «ضارة إذا ابتلعت».

أضافت كارين ايبينغر Eppinger التحذير لطعم صيد السمك كانت عائلتها تستخدم الرصاص لصنع طعم داردفيل وذلك لمدة قرن من الزمن تقريباً في دير بورن ميشيغان وكانوا يحرصون على وضع لصاقات التحذير المناسبة. ثم قرر السياسيون في كاليفورنيا إلزام الشركات التجارية بتوفير تحذير «واضح ومعقول» قبل تعريض أي شخص إلى إحدى المواد الكيميائية الـ 700 التي تشمل الرصاص. كان هذا القانون منجماً للذهب أمام المحامين المدعين والخوف منه أنتج آثاراً غير مرغوبة.

قالت لنا كارين: «كان علينا أن نطبع لصاقات بسرعة فلقد تم رفع دعوى قضائية على دال مارت. وتم تهديد شركة كابيلا وباس برو بالدعاوى القضائية لأن أساس الطعوم التي شحنت إلى كاليفورنيا لم يوضع عليها بطاقة تحذير بأنها لا تؤكل».

obeikandl.com

كما ترى أشك في أنك تستطيع أن تبتلع واحدة من هذه. ولكن حتى لو استطعت تحوي طعوم كارين كمية ضئيلة جداً من الرصاص لذا يلزم ابتلاع العديد منها كي تحدث تأثيراً مؤذياً. لكن ذلك لم يهم. أذعر المحامون كارين فكان عليها إعادة كتابة اللصاقات وإعادة تغليف الطعوم. قالت «كلف ذلك ما بين 100.000$ و150.000$.

وهذا هو السبب في غلاء المنتجات.

خرافة: طعام الوجبات السريعة يجعلكم أسمن.
حقيقة: أنتم تجعلون أنفسكم أسمن.

أنا أحب طعام الوجبات السريعة إنه سريع و.. رخيص. وهذا هو السبب في شعبية ماكدونالدز وبيرغر كينغ وويندیز وكانتاكي فرايد تشيكن وتاكو بيل. إنهم يخدمون ما يقرب 100 مليون شخص في اليوم.

بالطبع تناول طعام الوجبات السريعة مراراً يجعلك سميناً. الناس يعرفون ذلك.

لكن المحامين يقولون إن بعض الأشخاص لا يعرفون ذلك ولهذا فإنهم يرفعون الدعاوى على تلك المطاعم. قال لي جون بانز هاف الأستاذ في جامعة واشنطن «مانحاول فعله في محاربة مشكلة البدانة هو نفس ما قمنا به في محاربة مشكلة التدخين».

إنه يعرف ذلك جيداً.

خاض بانز هاف معركة في الدعاوى القضائية ضد مصانع السجائر. ولاحظ قائلاً «كان الناس يقولون إن تلك الدعاوى القضائية تافهة. حسناً اليوم نلقب أولئك المحامين أصحاب ملايين multi millionaim».

للأسف هذا صحيح. فهو وأصحابه المتبجحون يملكون أفكاراً يرفضها معظم الناس ولكن لكونهم محامين والمحامون يستخدمون القوة فإنهم غالباً ما يفوزون ـ إن لم يكن الفوز في البداية فإنه يحدث مع مرور الوقت. إنهم يستمرون في رفع الدعاوي. لقد

خسروا 700 دعوى قضائية قبل أن يبدؤوا بالفوز ضد مصنعي السجائر. وكان فوزهم عظيماً. وكان جزءاً من التسوية أن تدفع شركات التبغ الكبيرة ثلاثة عشر بليون دولار فقط أتعاباً للمحامين ـ مبلغ يكفي لشراء 80.000 سيارة بنتلي للمحامين. قال لي بانز هاف إن شركات الطعام أكبر «إنها قضية التبغ الجديدة».

ستوسل: ألسنا نحن من نسمن أنفسنا؟ الحق ليس على ماكدونالدز. إن دخلت المطعم وتناولت ثلاثة أكواب ميلك شيك الحق علي.

جون بانزهاف: ولكن أليست الشركات مسؤولة جزئياً إن أخطأت في تقديم نفسها أو فشلت في التحذير من الخطر؟

ستوسل: بإمكانك ملاحقة حلوى فتيات الكشافة وبطاطا الشيبس والمثلجات هناك الكثير من الأشياء التي تجعلنا نسمن.

جون بانز هاف: يحتمل أنه توجد كثير من الأشياء التي تسهم في سمنتنا لكن ثمة دراسات أشارت إلى أن وباء البدانة انتشر بسبب شركات أطعمة الوجبات السريعة.

إنهم يجدون دائماً دراسة ما لدعم أقوالهم. وإن كانوا محظوظين تؤثر هذه الدراسة في لجنة المحلفين أنا أعتقد أن البدانة ناجمة عن أن الناس يأكلون أكثر مما ينبغي ولا يقومون بالتمارين الرياضية بدرجة كافية. لعله سيرفع دعوى قضائية على مصنعي الأرائك تحت شعار«الأرائك تشجع الكسل» أو لعله سيرفع دعوى على برنامج 20/20 وعلي لتشجيع الناس على مشاهدة التلفاز في أمسيات الجمعة. على الأقل مازال ماكدونالدز يقاوم هذه الدعاوى القضائية ويمكن من كبح بانز هاف وأمثاله. لكن الأجور القضائية هي السبب في ارتفاع سعر شطيرة البغ ماك.

خرافة: الدعاوى القضائية ضد التفرقة توقف التفرقة.
حقيقة: غير صحيح أبداً.

لقد أصبحت مراسلاً صحفياً لتقارير المستهلكين لأنني لا أحب المتنمرين. في طفولتي كان الأولاد يتنمرون علي ولم أستطع أن أقوم بأي شيء لإيقافهم. ولكوني

obeikandi.com

اليوم مراسلاً صحفياً أملك كاميرا وجمهوراً أستطيع أن أفضح المتنمرين. في البداية كما قلت، ظننت أن الشركات التجارية هي المتنمرة لكنني أدركت أن الشركات التجارية تعتمد على تعاوننا الإرادي الحر أما المحامون فيستخدمون القوة. إن المحامين هم المتنمرون.

حتى الدعاوى القضائية التي يلقبونها «خدمة الشعب» تبدو لي نهباً للأموال.

في عام 1990 شرع الكونغرس قانون الأمريكيين ذوي الإعاقة ورمزه ADA Americans with Disabities Act وكان هدفه النبيل: إلغاء الحواجز الجسدية والقانونية أمام المعاقين. خلق قانون ADA فرص عمل قذرة أمام محامين مثل أنتوني برادي من كامدن في نيو جرسي.

تشارك برادي مع شخص معاق لرفع عشرات الدعاوى القضائية على شركات أعمال صغيرة بتهمة الفشل فهي تطبيق قانون ADA. لم يكن هو ضابطاً مسؤولاً عن تطبيق النظام، بطاقة الشراكة المهنية هي كل ما كان يلزمه. علاقة مموهة مع ADA تمكن المحامين من رفع الدعاوى القضائية لدعم تطبيق القانون. حول برادي هذه الهدية القانونية إلى بقرة لحلب النقود.

لقد رفع دعوى قضائية على نادٍ ذي طابقين في فلوريدا بحجة أنه يمارس التفرقة ضد الأشخاص الذين يستعملون الكراسي المتحركة إذ إنهم لا يستطيعون الصعود إلى الطابق العلوي إنها التفرقة والأذية العاطفية صرخ برادي في دعواه القضائية. يجب أن يدفع النادي الأموال ثمناً لذلك التخريب. وطبعاً أتعاباً لأنتوني برادي.

قال لنا أصحاب الشركات الصغيرة التي كان يرفع عليها الدعاوى القضائية إن تلك الدعاوى كانت بمثابة شخص يركض وراءهم وهو يحمل مضرباً. مهما بلغت سخافة التهمة أجبروا على استخدام محامين وقال لهم محاموهم «اقبلوا بتسوية تدفعون فيها مبلغاً صغيراً وإلا ستضطرون إلى دفع ثروة إلي ثم ستصابون بألم أكبر عندما ستجبرون على الذهاب إلى المحكمة» ولم يلزم أصحاب الشركات معرفة الكثير عن الأمور القانونية لفهم ما يجري. قال أحدهم «ياله من نهب! ياله من نهب!».

رفعت الدعاوى على الكثير من الشركات بسبب شركات محامين مثل شركة برادي. إحدى الدعاوى القضائية التي رفعها ويليام تاكر ولورنس ماك غينيس كانت لشكوى عن عشاء في مطعم فورت لو دير ديل في فلوريدا إذ لم يلتزم المطعم بالمعايير القانونية. ومنها أن جهاز الإمداد بورق التنشيف في الحمام كان أعلى بانش ونصف مما يجب أن يكون عليه وقفاً لقانون ADA.

كان تجديد الحمام رخيصاً أمام ما اضطر أصحاب المطعم إلى دفعه للتسوية مع تاكر وماك غينيس 3.500$ يجب أن يدفع المحامون قسماً من ذلك المبلغ إلى واشنطن لشكر زملائهم المبتزين في الكونغرس.

خرافة: محامو حقوق الجماعات يؤمنون العدالة للمستهلكين.
حقيقة: محامو حقوق الجماعات يزيدون ثراءهم على حساب المستهلكين.

الكونغرس لطيف مع المحامين ولكن هناك فرع من الحكومة ألطف بكثير منه معهم ألا وهو: القضاة. في حين أن 41 بالمئة «فقط» من أعضاء الكونغرس هم من المحامين، 100 بالمئة من القضاة محامون. وفي بعض النظم القضائية تقلل السياسات كثيراً من الاختلاف بين المحامين والقضاة. أحد الأمكنة التي تم فيها ذلك هي مقاطعة ماديسون في الينوي.

تضم مقاطعة ماديسون نحو 250 ألف نسمة ينتشرون من في أرجاء ريفية. ويبلغ سكان مدينة إيدوار دزفيل Edwards Ville الصغيرة أقل من 25.000 نسمة. لكن المحاكم في إيداوار دزفيل قوية للغاية وتجذب شركات القضاء من نيويورك إلى كاليفورنيا.

لماذا؟ لأنها تشتهر بتاريخ من استضافة أكثر الاختراعات القانونية مكسباً: الدعاوى القضائية المرافعة عن حقوق المجموعات. الدعوى القضائية لحقوق الجماعات هي دعوى قضائية رفعت باسم مجموعة من مستهلكين شاكين مثلاً، نظرياً تبدو طريقة

جيدة لحماية المستهلكين. لو أن شركة تجارية سرقت منك عشر دولارات فإن هذا لا يبرر رفع دعوى قضائية إذ إن استشارة المحامي ستكلفك أكثر من ذلك ولكن إن استطاع المحامي جمع آلاف من الأشخاص الذين سرقوا بقضية واحدة فإن مجموع تلك السرقات تستحق الملاحقة. وهذا السبب في ازدهار موضوع حقوق الجماعات. معظمنا شارك في «الاشتكاء» في بعض هذه القضايا.

يأتيك الخبر في رسالة أنيقة من شركة محاماة لم تسمع باسمها من قبل. للوهلة الأولى تظن أنك ربحت اليانصيب: لقد فزت «بالاستحقاقات» من «محاميك». لكن الحقيقة مختلفة.

لقد أخبرت برسالة أنني رفعت دعوى على شركة آيوا وفزت بتسوية. أنا أملك مسجلة آيوا CD (أسطوانات ليزر لكنني لم أظن أبدا أنني رفعت دعوى عليهم. كتب في الرسالة أن بعض أجهزة آيوا لا تستطيع قراءة الأسطوانات الليزرية وأدى ذلك إلى «إخفاق في النتاج السماعي» كانت مسجلتي تعمل جيداً. ولكني حق لي استرداد بعض المال لأن شركة آيوا غشت بعض الناس ببيعهم أجهزة لم تعمل.

عندما تقرأ رسالة المحامي تصعب معرفة كم من النقود ربحت. شرح في رسالتي عن شركة آيوا (بطباعة صغيرة ورديئة) أن كمية النقود التي سأحصل عليها تتعلق بحالة جهاز التسجيل ما إذا كان قد كسر أو أجريت عليه تصليحات أو تم إرساله بالبريد إلخ.. وبعد قراءة مضنية استنتجت أنه يحق لي استرجاع عشرة دولارات. وللحصول عليها وجب علي أن أسجل رقم نموذج مسجلتي ثم «توفير جميع الوثائق والمعلومات المذكورة في الجزء III من وثيقة الطلب المرافقة...» العملية صعبة ومربكة حتى أن معظم «الزبائن» لن يزعجوا أنفسهم بتعبئة الطلب للحصول على حصتهم. لكن المحامين لم يرتبكوا أبداً ـ بل جنوا 1.687.500$ من القضية إنهم الجماعة. ذات الأفضلية!

يجني محامو حقوق الجماعات بشكل دوري أكثر من أي فرد في الجماعة. في تسوية قضائية مع شركة جنرال ميلز لحبوب الإفطار بعد أن اتهمت أنها تعرضت لمبيدات حشرية، جنى المحامون ما يقرب مليوني دولار ـ حصل المستهلكون على

قسائم للحصول على علب حبوب مجانية. تسويات مثل هذه ألهمت الصحفي بيل ماك كليلان لكتابة مقال في صحيفة St louis post dispatch وصف فيه محامي حقوق الجماعات أنهم أسوأ من لصوص المصارف. قال لي «لصوص المصارف لا ينهبون المصارف ثم يدعون أنهم يفعلون ذلك من أجلنا».

رفع محامو حقوق الجماعات في سانت لويز دعوى قضائية على ماك كليلان بتهمة التشهير وطالبوه أن يدفع لهم ثلاثة ملايين دولار. علم ماك كليلان عن موضوع حقوق الجماعات لأن سانت لويز تجاور مقاطعة ماديسون في الينوي.

لم كانت مقاطعة ماديسون ضحية لمحامي حقوق الجماعات؟ قال لي أستاذ الحقوق جون بيسنر «يتنقل سيرك الطفيليات من مكان إلى مكان ثم ينتقون المقاطعة التي يعتقدون أنها ستمدهم بالقوة لممارسة دعاويهم القضائية».

تساعد الإسهامات في الحملات الانتخابية المحامين بالحصول على القوة اللازمة لعملهم. لقد قدت سيارتي في مقاطعة ماديسون ودهشت من اللافتات التي تروج لانتخاب هذا القاضي أو ذاك ـ وكلها تنتشر في أملاك شركات المحامين. تسعون بالمئة من التبرعات الانتخابية القضائية في هذه المنطقة تأتي من المحامين. بدا الأمر كما لو أن المحامين يساعدون على اختيار أصدقائهم من القضاة ثم يكافئهم القضاة بدعمهم في المحكمة.

بدت مقاطعة ماديسون مثل واحدة من «نظم القضاء السحرية» التي وضعها ملك حقوق الجماعات ديكي سكرغس scriggs.

يقول سكرغس في هذه النظم القضائية «أسس محامو المحكمة علاقات مع القضاة.. من المستحيل أن تحصل على محاكمة عادلة إن كنت متهماً في تلك المناطق... لا يتم الفوز بالقضايا في قاعة المحكمة وإنما يتم الفوز بها في الطرقات الخلفية قبل أن تذهب القضية إلى المحكمة».

كنت أريد سؤال القضاة في مقاطعة ماديسون عن ذلك لكنهم لم يشاؤوا مقابلتي والتحدث معي. لكن أحد القضاة السابقين وافق على الحديث للدفاع عن السمعة

obeikandl.com

المحلية. قال لي إن الإسهامات في الحملات الانتخابية لا يؤثر في القرارات، وقال إن محامي حقوق الجماعات يختارون المرافعة عن قضاياهم في مقاطعة ماديسون لأن القضاة «أكفاء للغاية».

ستوسل: أأنتم أسرع هنا؟

القاضي السابق: نعم ولدينا أفضل محامين في البلاد. لدينا محامون وقضاة لهم خبرات طويلة في معالجة المواضيع القانونية المعقدة. هناك رجال جيدون ومجدون في العمل.

ستوسل: أهم مجدون في العمل وأذكياء أكثر من كل المحامين في أمريكا؟

القاضي السابق: إن محامينا هم أفضل محامين.

هذا القاضي السابق ترأس قضية حقوق جماعات رفعت ضد شركة هاتف كبرى. ادعى المحامون أن تلك الشركة تقاضت أجرة كفالة للخطوط الهاتفية دون أن تسأل الأشخاص إن كانوا يريدونها. قالت الشركة إنها لم تفعل أي شيء خاطئ وقبلت بتسوية مالية لتجنب الكلف الباهظة للدعاوى القضائية هذا ما تفعله الشركات عادة، تدفع التسوية. تدفع للمحامين كي يتركوها وشأنها.

قال لي الصحفي ماك كليلان «إنهم يشبهون عصابة سيحطمون نافذتك إن لم تعطهم النقود فتفكر وتقول لنفسك من الأسهل إعطاؤهم النقود كي لا يكسروا النافذة».

وافق القاضي السابق على التسوية ولكن لم ينب المستهلكين حصة كبيرة منها. أعطت التسوية للمستهلكين بطاقات مكالمات بقيمة خمسة عشر دولاراً وأعطت للمحامين ستة عشر مليون دولار.

قلت للقاضي إن تسويات حقوق الجماعات هذه تبدو نهباً. فابتسم وقال لي «بإمكانك أن تقول ذلك عن أي تسوية أليس كذلك؟»

نعم بإمكاني.

تحتاج مقاطعة ماديسون إلى رفش.

obeikandl.com

خرافة: محامو المصلحة العامة يخدمون المصلحة العامة.
حقيقة: محامو المصلحة العامة يجبرونكم على الدفع لتحقيق رؤيتهم السياسية.

في شيكاغو رفع محامو «المصلحة العامة» قضية حقوق الجماعات بالنيابة عن المتسولين. لقد كانت قضية يسأل فيها المحامون دافعي الضرائب «أخي هل لي بحسنة منك تبلغ بضعة مئات آلاف؟» يجب أن أسحب قولي هذا المحامون لا يسألون بل يطالبون.

كانت شرطة شيكاغو تلقي القبض على الأشخاص بتهمة التسول. رفع المحامي مارك واينبرغ دعوى قضائية يقول فيها إن القانون سلب المتسولين حقوق حرية التعبير، وادعى أنه يمثل شحاذي شيكاغو.

كان واينبرغ محقاً بعض الشيء في موضوع حرية التعبير. فطلب النقود هو نوع من حرية التعبير. ويمكننا بالمقابل أن نجادل أن هناك شعرة بين التسول وبين التسول العدائي أو قضية التعبير والتعبير للتهديد.

في التسعينيات وفي بلدتي الأم كان المتسولين يطلبون النقود أثناء قيامهم بغسيل زجاج السيارة أردت ذلك أم لم ترد. جعل المختار رودي جولياني الشرطة تلقي القبض على أولئك المتسولين. ولقد جادلته في الأمر.

ستوسل: أليس الأمر سليماً... شخص محتاج يطلب المساعدة؟
رودي جولياني: بالطبع إنه كذلك ولكن هذا الشخص المحتاج قد يغرز السكين فيك وعندها ستنظر إلى الأمر بطريقة مختلفة.

لقيت أفعال جولياني شعبية في نيويورك. الآن أعترف أنه كان محقاً وكنت أنا مخطئاً. لقد أصبحت المدينة أكثر أماناً لأن جولياني فرض نظاماً معيناً بدا فيه واضحاً أن تصرفاً مدنياً كان متوقعاً من كل الجماهير. ولكن عندما فاز مارك

واينبرغ بدعواه القضائية أصبح المتسولون يضايقون الناس في شيكاغو. لقد صورناهم بالفيديو يلاحقون الناس. شتمت إحداهم من لم يعطها المال ولم يبد أن ذلك يزعج محامي المتسولين.

ستوسل: إذاً أستطيع أن أذهب إلى شيكاغو وأزعج الناس في الطرقات.

مارك وايندر: حسناً تستطيع أن تمارس البند الأول من حقوقك القانونية وتطلب من أحد ربع دولار.

ستوسل: هل أستطيع أن أسألهم ثانية بعد أن يقولوا لا؟

مارك وايندر: نعم تستطيع أن تسألهم ثانية.

ستوسل: أأستطيع أن أساألهم مراراً؟

مارد وايندر: تستطيع أن تسألهم مراراً كما يسأل سياسي أن تعطيه صوتك مراراً عندما يصافحك.

ستوسل: من طلب إليك أن تقرر بالنيابة عن كل شيكاغو.

مارك وايندر: حسناً أنا أعرف المتسولين ولقد وافقوا معي على أنه يجب القيام بشيء حول هذا الموضوع.

إذاً هذا المحامي وحده الذي «يعرف» المتسولين فيقرر سياسة التسول في المدينة بأكملها.

أمر سيئ أن يملك محامو «المصلحة العامة» كل هذه القوة ولكن الأسوأ هو أنهم يجمعون نقود الضرائب التي تدفعونها عندما يمارسون قوتهم ونفوذهم.

اقتضى جزء من التسوية أن يحصل «موكلو» واينبرغ المتسولون على خمسين دولارٍ لكل واحد منهم أو أربع مئة دولار لمن يثبت أنه اعتقل. أما واينبرغ وشريكه فحصلا على 375 ألف دولار.

مارك وايبرغ: يا جون إن هذي ليست قضية يحصل فيها محامون جشعون على مبالغ خيالية.

ستوسل: لكنها تبدو كذلك لناظري أنت حصلت على 375 ألف دولار؟

obeikandi.com

مارك واينبرغ: نعم أنا أعتقد أن هذه الدعوى القضائية هي مثال على نجاح النظام. نجاح النظام أم «استغلال النظام» اخرج الرفش.

بعد أن وضعت فقرة عن ذلك في قسم «أعطني فرصة» من برنامج 20/20 قام مجلس مدينة شيكاغو بتشريع قانون يسمح بمقاضاة التسول «العدائي». ارتاح المشاة في شيكاغو قليلاً: لكنهم مازالوا مستائين من خسارة مئات آلاف الدولارات.

فكر بهذا في المرة القادمة عندما يقول لك محام إنه يخدم «المصلحة العامة».

خرافة: يرفع المحامون الدعاوى القضائية دفاعاً عن الظلم.
حقيقة: يرفع المحامون الدعاوى القضائية لأنهم يستطيعون فعل ذلك.

بعض المحامين الناجحين يبرعون في قدرتهم على التنمّر لدرجة الاحتيال. لو كان هناك جائزة للوقاحة الجريئة لأفضل محامٍ لبرز متبار فيها هو هوارد سميغل من مدينة نيويورك. إنه محام لشخص مشهور ولقد كتب رسالة أنيقة من مكتبه الأنيق في شارع بارك أفييو Park Avenue إلى صحيفة Atlanta Journal Constitution «إن صحيفتكم تنشر مقالات شخص يستخدم اسم بيل ويلمان نعتقد أن هذا تضليل خطير واستغلال مقصود غير مرخص لاسم موكلنا».

كانت الصحيفة مذنبة إذ إنها استخدمت مراسلاً يدعى بيل ويمان تنشر مقالاته بشكل دوري في الصحيفة. كان اسم موكل المحامي أيضاً بيل وايمان وكان عازف الغيتار في فرقة رولينغ ستون ويشبه مريضاً في الكوما. بيل وايمان الذي تحدثت إليه لم يكن غاضباً من هذه القصة بل متسلياً بها بعض الشيء.

ستوسل: ما الذي تريد فعله؟

بيل وايمان: إنهم يريدونني أن أتوقف عن استعمال اسمي أو أستطيع استعماله إن أجريت إنكاراً علنياً.

ستوسل: أهو اسمك الحقيقي.

بيل وايمان: بالطبع.

ستوسل: ولكن كتب في رسالة المحامي «لا يمكنك استخدامه بطريقة تضلل أو تسبب الارتباك للجماهير»

بيل وايمان: هل أعتقد أن هناك أي شخص سليم عقلياً سيظن أن بيل وايمان من فرقة الرولينغ ستون سيكتب مقالات لأتلانتا جورنال أنستيتوشن؟

سُمي وايمان الصحيفة قبل وايمان نجم الروك الشهير. دعي الموسيقي عند ولادته وليام بيرك لكنه غير اسمه إلى وايمان بعد ثلاث سنوات من ولادة بيل وايمان في أتلانتا. الصحفي حصل على الاسم قبل!

لكن ماهو معقول ليس معياراً عندما يستطيع المحامون جني النقود من التنمر على الآخرين.

خرافة: المحامي وحده يستطيع المساعدة.
حقيقة: يسمح للمحامي وحده بالمساعدة.

ينجح المحامون في استغلال النظام لأنهم هم يكتبون بنود القانون. ينص أحد هذه البنود: «لا أحد يستطيع التنافس معنا خاصة إذا كان عملهم رخيص الثمن».

حسناً لا يوجد قانون ينص على ذلك لكن هذا وصف لبند «الممارسة غير المرخصة للمحاماة». هناك قانون ينص على أنه «يحق للمحامين وحدهم إعطاء النصيحة القانونية» هذا يعني أن المحامين المتنمرين لا يحبون أن يشاركهم أحد اللعب في حديقتهم لذلك يستخدمون قوتهم الخاصة لطرد الدخلاء.

تجرأ جيروم بابانيا في بحيرة تشارلز في لويزيانا على تحديهم:

جيروم بابانيا: أتى سبعة مندوبين لاعتقالي.

ستوسل: سبعة مندوبين.

جيروم بابانيا: سبعة أمسكوا بي وأخذوا بصماتي ووضعوا الأغلال في يدي ثم ذهبت إلى السجن.

obeikandl.com

كانت جرم جيروم أنه ساعد بعض المقيمين في دور العجزة وبعضاً من جيرانه على ملء وثائق قانونية تتعلق بالوصايا وبالإفلاس.

وكان الجرم الحقيقي لمهنة المحاماة هو الأجرة التي تقاضاها مقابل تلك المساعدة وبلغت خمسين دولاراً للوصية وتسعين للإفلاس. يالها من إساءة إلى المهنة النبيلة (وتهديد لذوقها الغالي)!

ألجأت إلى محام منذ مدة قريبة؟ يسهل إيجادهم. إنهم يتكاثرون بمعدلات تفوق معدلات تكاثر السكان العاديين. ومع ذلك فإن كثرتهم لا تعني انخفاض أجورهم. في المبدأ كل الأمريكيين لديهم فرصة استخدام المحامين أما في الواقع فإن الأثرياء وحدهم هم الذين يستطيعون استخدام المحامي.

قال لي جيروم كان هناك إقبال واسع على خدماته «لم يكن ذلك لأنهم يحبون تلك الخدمات ولكن لأنه يحتاجونها».

أرادت جارة جيروم لورين ماركانتل أن تكتب وصيتها ولكنها لم تستطع تحمل نفقات شركات المحامين: «إنها تكلف الكثير لم يجب علي أن أدفع 250$ لرجل كي يقول لي أين يجب أن أكتب القلة التي سأتركها لأولادي؟»

جعل مرض طويل وفاتورة مشفى باهظة الدائنين يلاحقون عائلة شارون كورمير قالت لي شارون «كانوا يهتفون إلينا ويكلموننا بفظاظة كانوا يريدون مصادرة أموال زوجي وهذا يجعلنا نضيع تماماً».

كانت الطريقة الوحيدة أمامهم هو إشهار الإفلاس. لكن المحامين طلبوا خمسمئة دولار قالت شارون: «لو كان لدينا خمس مئة دولار ندفعها للمحامي لدفعنا فواتيرنا وديوننا!».

ساعدها جيروم ولم يرق ذلك للمدعي العام ريتشارد ليوب فاتهم جيروم «بممارسة غير مرخصة للمحاماة» وهو جرم عقوبته في لويزيانا تبلغ سنتين في السجن لقد أخذت طاقماً للتصوير وذهبت لمقابلة ليوب وقاومت رغبتي باستخدام الرفش لضربه. قال

لي إن محاكمة جيروم كانت ضرورية لأنه كان من الممكن أن يعطي نصيحة غير جيدة في الأمور القانونية. طبعاً هناك محامون يفعلون ذلك أيضاً.

ستوسل: لم لا تتركون للزبائن الاختيار؟ لقد علم زبائنه أنه لم يكن محامياً

ريتشارد ليوب: قد لا يعلم الزبائن تأثير الاستشارة القانونية السيئة.

ستوسل: محاموك يحاولون إبقاء كل شيء تحت سيطرتهم.

ريتشارد ليوب: هذا خطأ تماماً. إن المحامين بشكل عام يُنقذون بشدة. لكننا نمارس مهنة رائعة. أقول لك إن هناك محامين في هذه المنطقة يقومون بأعمال للفقراء دون أجر أو بأجر يشابه ما تقاضاه السيد بابانيا.

ستوسل: عفواً لكنني أجريت الاتصالات ولم أجد أحداً يفعل ذلك.

ريتشارد ليوب: أستطيع أن أسمي لك محامياً يفعل ذلك لكنني لا أريد تسميته في بث على الهواء.

ولكن عندما أوقفنا التصوير لم يعطني الاسم أيضاً قال إنه «لا يستطيع تذكره لكن من السهل علينا إيجاد أولئك المحامين. لذا اتصلنا بأكثر من دزينة محاولين إيجاد من يساعد الفقراء مثلما فعل جيروم. لقد اتصلنا عدة مرات ولم نجد أحداً يساعد الفقراء بنفس الأجر الذي كان يتقاضاه جيروم أو مجاناً.

قال لنا المدعي العام أيضاً أثناء المقابلة إنه سيطلعني على الشكاوي التي تلقاها مكتبه حول جيروم ولكن بعد أن توقف التصوير لم يدعنا نراها. أعطانا اسماً واحداً فقط هو ماري ساليز قائلاً إنها كانت إحدى الشاكين. عندما ذهبنا لمقابلة ماري أعطتنا قصة مختلفة تماماً قالت «شعرت أنه كان يعرف تماماً ما يقوم به لقد أعدّ لي الأوراق وكان طلاقاً سهلاً».

قال لنا المدعي العام إن جيروم شكل خطراً على الشعب لأنه كان يعطي النصح في «مجال تقني. لكن مساعدة الناس في ملء وثائق الوصية والإفلاس والطلاق المتفق عليه ليس أمراً «تقنياً» معقداً لا يستطيع ممارسته إلا مجموعة مقدسة من المحامين».

عادة عندما نشتري الأشياء نجد أمامنا خيارات متعددة. تستطيع أن تشتري سيارة ليكسوس أو شفروليه أو تستطيع أن تركب الدراجة أو الحافلة. ولكن عندما تتعامل مع المحامين يجبرونك على شراء ليكسوس أو مرسيدس. لا يوجد خيار.

عندما سن القانون الأمريكي لم يكن فيه ما يقول إن المحامي يجب أن يساعدك في ملء الوثائق. ولكن قبل مئة سنة شرع المحامون قانون UPL بحجة أنهم يحمون الشعب. كما قال لي جيروم: «يشبه الأمر لعبة كرة سلة يملك المحامون فيها الملعب والكرة وهم الحكام واللاعبين».

ثبتت التهمة على جيروم وغرم بخمس مئة دولار ووضع تحت التجربة لمدة ستة أشهر. لم تحصل الحكومة على الغرامة: من المحزن أن جيروم أعلن نفسه فقيراً معوزاً لأن نائب رئيس الشرطة صادر حواسيبه وملفاته التي كان يحتاج إليها لعمله. لقد دمروا حياته بأكملها.

في أريزونا قبل عامين غلب معهد للعدالة محاولة من شركة محامين ارتأت فيها منع الزبائن من استخدام غير المحامين «لتحضير أية وثائق بأي شكل لتطبيق أو ممارسة حقوق شرعية لشخص ما أو هيئة. ذلك القانون المقترح تسبب في إغلاق المئات من المكاتب التي تساعد في تحضير الوثائق وتوفر بديلاً قليل التكاليف عن المحامين باهظي الأتعاب لسكان أريزونا. ادعت شركة المحامين أنها تلقت أربع مئة شكوى ضد ممارسي القانون من غير المحامين في أريزونا. ولكن عندما تحرى معهد العدالة عن تلك الشكاوى وجد أنها كلها كانت ملفقة. معظمها كان شكاوى على المحامين أو شكاوى كتبها المحامون أنفسهم وليس الزبائن. استخدمت المحكمة العليا في ولاية أريزونا الرفش للتنقيب عن حقيقة ذلك الادعاء.

ولكن في كل ولاية عدا أريزونا يسيطر المحامون سيطرة تامة.

وفي الواقع في العديد من الولايات ينص القانون على وجوب حضور محام لدى إبرام أية صفقة عقارية. حاول محامون في تكساس منع دار نشر من بيع كتب تساعد الناس على توفير النقود بتلقينهم طريقة كتابة وصاياهم بأنفسهم.

obeikandl.com

في ديلاوير ساعدت امرأة تدعى مارلين آرونس الأهالي بالدفاع عن الحقوق التعليمية لأولادهم المعاقين أمام مجلس التعليم في الولاية. لم يحتمل معظم الأهالي تكلفة محام لذا ساعدتهم آرنز التي لديها طفل معاق، مجاناً. اشتكى المحامون للمحكمة العليا في ديلاوير فتوقفت مارلين عن مساعدة الأهالي كان ذلك مؤسفاً. لعل المحامين يحتاجون للرعاية أكثر من الأطفال المعاقين.

إذا تركنا المحامين يصيغون القوانين فإنهم لن يتوقفوا إلى أن يحصلوا على كل وقتنا وحريتنا ونقودنا.

obeikandl.com